مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

عَلِيّ عَمَّار - لابوانت -

1957 - 1930

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-12-6

الإيداع القانوني : 2009-5459

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

الشهيد

علي عمار - لابوانت -

1957 - 1930

منْ خلاَل النَّظْرَة العَابرَة يَترَاءى للْمَرْء ذَلكَ الْمَكْتَبُ الضَّخْمُ الفَخْمُ بأَعَالي القَصَبَة وَهُوَ مُجَهَّزٌ بكُلِّ مَا يَبْعَثُ عَلَى الرَّاحَة وَالانْشراح. تُشْرفُ وَاجهَتُهُ الأَمَاميَّةُ عَلَى جُزْء وَاسع منْ مَدينَة الْجَزَائر، أمَّا الوَاجهَةُ الْخَلفيَّةُ فَتُطلُّ عَلَى حَديقَة غَنَّاءَ وَارفَة الظِّلاَل، تَنْبَعثُ منْهَا رَوَائحُ عَطرَةٌ مُنْعشَةٌ، تَجْعَلُ كلَّ مَنْ يَدْخُلُهُ يُعْجَبُ برَوْنَقه وَجَمَاله وَمَوْقعه الأَخَّاذ السَّاحر.

وكَثيراً مَا تَطْمَئنُّ نَفْسُ الضَّابط العَسْكَريّ وَهُوَ بدَاخله يُديرُ عَمَلَهُ بجدٍّ ونَشَاط، رَغْمَ صُعُوبَة الْمَهَامِّ وَتَعَقُّدهَا. تَمُرُّ السَّاعَةُ، وَأَحْيَانًا السَّاعَات، دُونَ أنْ يَشْعُرَ بمُرُور الْوَقْت، لَكنَّهُ الآنَ، وَالآنَ بالذّات، يُحسّ بضيقٍ وَتبرُّمٍ وانْزعاج، وكَأَنَّهُ فِي قَفَص مُغْلَق.

كَانَ يَقفُ حينًا خَلْفَ النَّافذَة ليُلْقيَ بنَظَره هُنَا وَهُنَاكَ، وَأَحْيَانًا أخْرَى يَذْرَعُ الْمَكَانَ جيئَةً وَذَهَابًا فِي عَصَبيَّةٍ لَمْ يَعْهَدْهَا من قَبْلُ؛ فيُشْعلُ سيجارَةً يَجْذبُ منْهَا نَفَسًا أوْ نَفَسَيْن ثُمَّ يَتَخَلَّصُ منْهَا وَيَظَلُّ حَائِراً لاَ يَدْرِي مَا يَفْعَلُ وَلاَ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ.

مُنْذُ قَليل فَقَطْ، رَنّ جَرَسُ الهَاتف، وَمَا إنْ وَضَعَ السَّمّاعَةَ عَلَى أذُنه حَتَّى وَصَلَهُ صَوْتٌ وَاضِحٌ منْ بَعيدٍ يَزُفُّ لَهُ الْبُشْرَى الَّتي طَالَمَا تَمَنَّى سَمَاعَهَا.

- سَيّدي الضَّابطَ، لَقَدْ تَمَكَّنَّا منْ رَصْد مَكَانه، لَكنْ ... وَانْقَطَعَت الْمُكَالَمَةُ فَجْأةً، إذْ يَبْدُو أَنَّ هُنَاكَ خَلَلاً مَا وَقَعَ في خَطّ الْهَاتف أوْ في جهَاز الاسْتقْبَال، أوْ رُبَّمَا قَدْ طَرَأَ طَارِئٌ أَجْبَرَ الْمُتَكَلّمَ عَلَى قَطْعِ الاتّصَالِ،

فَضَرَبَ كَفّاً بِكَفٍّ أسَفًا وَحَسْرَةً عَلَى مَا حَدَثَ، وَقَد انْتَابَهُ شُعُورٌ غَامِضٌ، هُوَ مَزِيجٌ مِنَ الْفَرْحَةِ الْعَارِمَةِ وَالقَلَقِ وَالحَيْرَةِ.

فَمُنْذُ أسَابِيعَ، بَل أشْهُرٍ، وَهُوَ عَلَى أحَرَّ مِنَ الجَمْرِ، فِي انْتِظَارِ أنْ تَصِلَهُ مِثْلُ هَذه الْمُكَالَمَةِ، لَكِنَّهَا وَيَا للأسَف، جَاءَتْ أخِيراً مَبْتُورَةً، غَامِضَةً، تَحْمِلُ عِدَّةَ تَأْوِيلاَت.

فَهَلْ تَمَّ إلْقَاءُ الْقَبْضِ عَلَيْه وَهُوَ الآنَ صَاغِرٌ ذَلِيلٌ مُكَبَّلُ اليَدَيْنِ وَالرِّجلَين؟ أمْ إنَّهُمْ عَرَفُوا مَخْبَأهُ فَقَط دُونَ أنْ يُمْسِكُوا به؟ وَقَدْ يَتَمَكَّنُ مِنْ مُرَاوَغَتِهِمْ وَالإفْلاَتَ مِنْهُمْ كَمَا حَدَثَ مَعَهُ وَمَعَ أمْثَاله مِرَاراً! ثُمَّ مَاذَا يَقْصِدُ الْمُتَكَلِّمُ بِكَلِمَة لَكِنْ؟ فَأكِيدٌ أنَّ عَمَلِيَّةَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ لَمْ تَتِمَّ بِصُورَةٍ كَامِلَة.

أسْئلةٌ وأسْئلَةٌ، رَاحَتْ تَتَدَافَعُ في ذهْنه دُونَ أنْ يَجدَ لَهَا جَوابًا شَافيًا، بَلْ إنَّهَا زَادَتْ حَيْرَتُهُ وَقَلَقُهُ، خَاصَّةً أنَّهُ لا يَدْري منْ أيْنَ جَاءَتْهُ هَذه الْمُكَالَمَةُ لكَيْ يَتَّصلَ بصَاحبهَا أوْ يُرْسلَ إليهَ مَبْعوثًا خَاصّا عَلَى عَجَلٍ، لَيَأتيَهُ بالْخَبَرِ الْيَقين. فَقَدْ نَشَرَ عدَّةَ مُخْبرينَ وَعَسَاكرَ في مَنَاطقَ مُخْتَلفَة منَ الْمَدينَةَ وَوَجَّهَ إلَيْهمْ أَمْرًا وَاحدًا: عَلَيْكُمْ أنْ تَأتُوني به حَيّا أَوْ مَيّتًا: فَقَدْ نَفدَ صَبْري، وَصَبْرُ الْقيَادَةِ منْ نَشَاطه "الإجْرَاميّ التَّخْريبيّ".

ثُمَّ زَوَّدَهُمْ بإحْدَى صُوره وَوَاصَلَ قَائلاً:

إنَّهُ مُجْرمٌ خَطير، خَطيرٌ جداً يَتَزَعَّمُ عصَابَةً ممَّنْ يُسَمّونَ أنْفُسَهُمْ (الْفدَائيين) الَّذينَ نَشَرُوا الْخَوْفَ وَالرُّعْبَ في كُلِّ الأوْسَاط، لَمْ يَسْلَمْ منْ أذَاهُمُ الْمُسْتَوْطنُونَ الفَرَنْسيُّونَ وَلاَ الأورُوبيُّونَ الآخرونَ وَلاَ أعوَانُنَا منَ الجَزَائرِيِّينَ

الّذينَ طَالَمَا أَخْلَصُوا لفَرَنْسَا وَقَدَّمُوا لَهَا خَدَمَاتٍ هَامَّةً، فَبَاتَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا غَيْرَ آمِنٍ عَلَى حَيَاتِهِ بِسَبَبِ إجْرامِهِمْ.

إنَّهُمْ يَضَعُونَ الْقَنَابِلَ فِي الْمَحَلاَّت وَفِي الحَانَات، وَفِي المراقصِ وَالنَّوَادي، وَفِي كُلِّ الأمَاكنِ الَّتِي يَتَوَاجَدُ فِيهَا أَبْنَاءُ جِلْدَتِنا أو المُتَعَاوِنُونَ مَعَنَا.

ثُمَّ أَخَذَ نَفَسًا طَوِيلاً منْ سيجارَةٍ كَانَتْ بَيْنَ أَصَابِعِه، وَوَاصَلَ قَائِلاً:

لَقَدْ بَاتَ الْوَضْعُ مُزْعِجًا؛ لاَ يُحْتَمَلُ أَبَدًا وَلاَ بُدَّ منْ وَضْعِ حَدٍّ لَهُ. وَلَنْ يَتَأَتَّى ذَلكَ مَا لَمْ نَقْبِضْ عَلَى هَذَا (الْفَلاَّق) الْخَطِيرِ الَّذي يُسَمَّى عَلِي عَمَّار وَالمُكَنَّى (عَلي لاَبْوَانتْ).

رَنَّ الهَاتفُ منْ جَديد، فَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، وَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ خَطَفَ السَّمَّاعَةَ وَقَدِ ازْدَادَتْ

دَقَّاتُ قَلْبه خَفَقانًا، وكلُّهُ يَقينٌ منْ أنَّ صَاحبَ الْمُكَالمة الأَولىَ قَدْ أعَادَ الْكَرَّةَ منْ جَديد، وَهَا قَدْ تَكَلَّلَتْ مُحَاوَلاَتُهُ بالنَّجَاح، وَأكيدٌ أَكيدٌ، أنَّهُ هَذه الْمَرَّةَ سَيُوَضّحُ لَهُ الأمْرَ وَسَيُخْبرُهُ بكُلِّ شَيْء، وَسَيُجيبُهُ عَنْ كُلِّ مَا يَجُولُ في خَاطره منْ أَسْئلَة مُحيِّرَة. لَكنَّهُ مَا كَادَ يَضَعُ السَّمَّاعَةَ عَلَى أُذُنه وَيَتَأَهَّبُ لَلْحَديث حَتَّى انْقَطَعَت الْمُكَالَمَةُ لَلْمَرَّة الثَّانيَة.

يَالَحَظِّيَ التَّعس هَذَا الْيَوْم. قَالَهَا وَهُوَ يَضْربُ كَفّا بكَفٍّ، أَسَفًا وَحَسْرَةً، وكَادَ يَصُبُّ جَامَ غَضَبه عَلَى جهَاز الْهَاتف فَيُهَشِّمُهُ وَيَرْمي به من النَّافذَة، وَلَكنَّهُ أدْرَكَ أَنَّ ذَلك لَيْسَ حَلاّ أَبَداً، بَلْ تَعْقيدٌ أكْثَرُ للْوَضْع. فَمنْ أيْنَ سَتَأتيه الْمُكَالَمَةُ إنْ فَعَلَ ذَلكَ؟ وَهُوَ لَمْ يَفْقد الأَمَلَ في الاتّصَال به قَريبًا جدّا جدّا.

وَعَادَ يَذْرَعُ الْغُرْفَةَ جيئَةً وَذَهَابًا وَهُو

يُفَكِّرُ: إِنْ كَانُوا قَدْ قَبَضُوا عَلَيْه فعْلاً، وَهَذَا مَا أَتَمَنَّاهُ، فَسَيَأْتُونَ به إِلَيَّ حَالاً؛ وَسَأَتَوَلَّى اسْتِنْطَاقَهُ بنَفْسي، وَسَأَتَلَذَّذُ بتَعْذيبه، وَأَشْفي غَلَيلي منْهُ. سَأَفْتَكُّ منْهُ الْمَعْلُومَات الَّتي أَرْغَبُ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهَا رَغْمًا عَنْهُ.

أَدْرِكُ أَنَّ ذَلكَ صَعْبٌ، صَعْبٌ جدًّا لأَنَّ هَذَا الصِّنْفَ منَ الْبَشَر يُفَضِّلُ الْمَوْتَ عَلَى أَنْ يُزَوِّدَنَا بمَعْلُومَة وَاحدَة. لَقَد اشْتَغَلْتُ في الْعَديد منْ بُلْدَان الْعَالَم، وَاحْتَكَكْتُ بأَجْنَاس مُخْتَلفَة، لَكنِّي لَمْ أَصَادفْ شَجَاعَةً وَإِقْدامًا وَإِصْرَارًا عَلَى الْمَبْدإِ بَلْ وَاسْتعْدَادًا للتَّضْحيَّة مثْلَمَا وَجَدتُّهُ عنْدَ هَذَا الشَّعْب، خَاصَّةً لَدَى هَذه الْفئَة الَّتي تُسَمِّي نَفْسَهَا (فدَائيِّينَ).

وَالأَغْرَبُ منْ كُلِّ ذَلكَ، هُوَ هَذَا الْنِّظَامُ الْمُحْكَمُ لَدَى الشَّبَكَات الَّتي تُعدُّ الْمُتَفَجِّرَات؛ فَهَذَا يُحْضرُ الْوعَاءَ، وَذَاكَ يَصْنَعُ الْمُتَفَجِّرَاتِ

وَالآخَرُ يُركِّبُ البَطَّارِيَّةَ وَالأخيرُ يَضْبطُ الْمُنَبِّهَ الْمُسْتَعْمَلَ في التَّفْجير، وَلاَ أحَدٌ منْهُمْ يَعْرفُ الآخَرَ، مَا عَدَا الْمُشْرِفُ الْعَامُّ عَلَى العَمَليَّة؛ فَإنْ نَحْنُ أَلْقَيْنَا القَبْضَ عَلَى أحَد أعْضَاء هَذه الشَّبَكَة، فَلَيْسَ لَدَيْه مَا يُزَوِّدُنَا به منْ مَعلومَات، وَعَادَةً مَا يَمُوتُ خِلاَلَ الاسْتِنْطَاقِ دُونَ أنْ يُفِيدَنَا بشَيْء.

وَمَنْ يَدْري، فَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْمُجْرِمُ الَّذي يُدْعَى (عَلي لاَبْوَانْت) هُوَ الْمُشْرف؟ وَاعْتَقَدُ أنَّهُ كَذَلكَ، وَإنْ صَحَّ حَدْسِي فَقَدْ حُلَّت الْعُقْدَةُ نهَائيًّا.

سَأجْعَلُهُ يُجيبُ عَنْ أسْئلَتي، أجَلْ سَأبْذُلُ قُصَارَى جُهْدي لأتَمَكَّن منْ ذَلكَ بالتَّهْديد وَالتَّرْغيب، وَالْكَيْد وَالْمُرَاوَغَة؛ فَكُلُّ الْوَسَائلَ في نَظَرنَا نَحْنُ الْفَرَنْسيِّينَ مُبَاحَةٌ، مَا دَامَتْ تُؤَدِّي الْغَرَض.

وَحِينَ أحَقّقُ مُبْتَغَايَ سَأخْنقُهُ بيَدَيَّ هَاتَين ثُمَّ أدَّعِي أنَّهُ انْتَحَرَ، أجَلْ سَأَفْعَلُ مَعَهُ كَمَا فَعَلْتُ مَعَ الْعَرَبِي بن مهيدِي وَغَيْرِه.

رَنَّ جَرَسُ الْهَاتف للْمَرَّة الثَّالثَة، فَاخْتَطَفَ السَّمَّاعَةَ كَعَادَته فِي كُلِّ مَرَّة، وَجَاءَ الصَّوْتُ وَاضحًا لَكنَّ هَذِهِ الْمَرَّةَ بِدَلاَلٍ وَغنْجِ صَوْتٍ أنْثَوِيٍّ قَائلاً:

سَأنْتَظرُكَ لنَتَغَذَّى مَعًا، لاَ تَتَأخَّرُ يَا عَزِيزِي، وَلاَ تَنْسَ أنْ تُحْضرَ لِي زُجَاجَةَ عطْرٍ بَارِيسِيّ منَ النَّوعِ الرَّفِيعِ وَعُلبَةَ مَسَاحِيق، وَفُسْتَانَ السَّهْرَة الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ؛ بِالإِضَافَة إِلَى لَحْمٍ طَازِجٍ طَرِيٍّ منْ ذَلكَ النَّوعِ الَّذِي يُرْضِي كَلْبَنَا الصَّغِير، لَكنْ لاَ تُكْثرْ منْهُ، فَهُوَ كَمَا تَعْرِفُهُ، لاَ يَرْغَبُ فِي أكْلِ اللَّحْمِ الْمَحْفُوظِ فِي الثَّلاَّجَة.

ثَارَت الدِّمَاءُ في عُرُوقه وكَادَ يَصيحُ في وَجْهِهَا قَائلاً: هَلْ هَذَا وَقْتُ الْحَديث عَن الْعطْر وَالْمَسَاحيق؟! لَكنَّهُ أمْسَكَ أَعْصَابَهُ فَهِيَ لاَ تَعْلَمُ شَيْئًا، وَأجَابَهَا باقْتضَابٍ قَائلا: حَاضِرْ، حَاضِرْ. وَوَضَعَ السَّمَّاعَة.

ثُمَّ اسْتَرْخَى عَلَى مَقْعَده الْهَزَّاز في انْتظَار أنْ يَرنَّ الْهَاتفُ منْ جَديد، وَلَمَّا أعْيَاهُ ذَلكَ الْوَضْعُ فَتَحَ مِلَفّاً كَانَ مَوْضُوعًا أمَامَهُ وَرَاحَ يَقْرَأ:

الاسْم: عَلِي عَمّار

المدعو: عَلِي لاَبْوَانْت.

تَاريخُ وَمَكَانُ الْمِيلاَد: 14 ماي 1930 بِمَلْيَانَة.

الْمِهْنَة: اشْتَغَلَ فِي صِبَاهُ فِي مَزَارِعِ

الْمُعَمِّرِينَ، لَكِنَّهُ كَانَ نَاقِمًا عَلَى مَا يُعَانِيه هُوَ وَأَمْثَالُهُ مِنْ سَيْطَرةٍ وَاسْتِغْلاَلٍ؛ فَانْقَطَعَ عَنْ ذَلِكَ العَمَلِ، وَوَجَّهَ اهْتِمَامَهُ لِلْعَمَلِ السِّيَاسِي.

نَشَاطُهُ السِّيَاسِيُّ: غَادَرَ مَلْيَانَةَ وَاسْتَقَرَّ فِي العَاصِمَةِ، بَحْثًا عَنْ حَيَاةٍ أَفْضَل، فَانْخَرَطَ فِي نَادِيهَا الرِّيَاضِّي حَيْثُ مَارَسَ رِيَاضَةَ الْمُلاَكَمَةِ وَاحْتَكَّ بِالكَثِيرِ مِنَ الْوَطَنِيِّينَ الَّذِينَ زَرَعُوا فِيه فِكْرَةَ التَمَرُّدِ عَلَى فَرَنْسَا مِمَّا حَدَا بِالسُّلُطَاتِ إِلَى الزَّجِّ بِهِ فِي غَيَاهِبِ السِّجْنِ.

وَعَادَ الْجَرَسُ يَرِنُّ مِنْ جَدِيد، الْتَقَطَ السَّمَّاعَةَ بِلَهْفَةٍ وَشَوْقٍ، دُونَ أَنْ يُمْهِلَ مُكَلِّمَهُ لَحْظَةً وَاحِدَةً خَوْفًا مِنْ هَذَا الانْقِطَاعِ الْمُتَكَرِّرِ رَاحَ يَسْأَلُ:

أَيْنَ أَنْتُمْ؟ حَدِّدْ لِيَ الْمَكَانَ بِالضَّبْطِ لأَلْتَحِقَ بِكُمْ حَالاً.

وَجَاءَهُ الرَّدُّ سَرِيعًا:

نَحْنُ الآنَ فِي حَيِّ الْقَصَبَة الْوَاقِعِ فِي أعَالِي مَدِينَة الْجَزَائِر.كَمَا تَعْرِفُونَ حَضْرَةَ الضَّابِط هُوَ مُطَوَّقٌ بِالْعَشَرَاتِ مِنْ رِجَالِنَا، أعْنِي قُوَات الْمظلِّيِّين و...، ولم يَتْرُكْهُ يُوَاصِلُ كَلاَمَهُ بَلْ قَاطَعَهُ قَائِلاً:

أكُونُ عِنْدَكُمْ بَعْدَ دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ.

ثُمَّ اخْتَطَفَ قُبَّعَتَهُ الْمُعَلَّقَةَ عَلَى الْمشْجَب فَوَضَعَهَا عَلَى رَأسه، وَفَتَحَ الْبَابَ وَانْدَفَعَ يَنْزِلُ الدَّرَجَ عَلَى عَجَل، بَلْ هُو لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ وَجَدَ نَفْسَهُ عَلَى مَتْنِ سَيَّارَة الْجِيب العَسْكَرِيَّة، إلَى جَانب أقْرَب مُسَاعديه. كانت الْجِيب تَجْتَازُ أحْيَاءَ الْعَاصِمَة وَشَوارعَهَا بِسُرْعَة جُنُونِيَّة كُلَّمَا قَلَّلَ مِنْهَا السَّائِقُ نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَحَثَّهُ عَلَى السُّرْعَة.

وَمَا إنْ وَصَلَ أسْفَلَ الْقَصَبَة حَتَّى نَزَلَ وَانْدَفَعَ رُفْقَةَ صَاحبه يَجْتَازُ الْمَمَرَّات وَالدُّرُوبَ الضَّيِّقَةَ إلَى أنِ اقْتَرَبَ منَ الْهَدَف.

المَكَانُ غَاصٌّ بالضُّبَّاط وَالجُنُود المُدَجَّجينَ بالأسْلحَة. الكُلُّ فِي هَرَجٍ وَمَرَجٍ وكَأنَّهُمْ فِي مَيْدَانِ مَعْرَكَةٍ حَامِيَة الوَطِيسِ، فَسَألَ المُشْرِفَ عَلَى الْعَمَلِيَّة :

أيْنَ هُو المُجْرِم؟.

رَدَّ قَائِلاً:

بَلْ قُلْ أيْنَ الْمُجْرِمُونَ يَا حَضْرَةَ الضَّابِط؟.

- هَلْ هُمْ كَثِيرُون؟.

- أجَلْ، إنَّهُمْ أرْبَعَةٌ، وَصَلَتْنَا مَعْلُومَاتٌ بِأنَّهُمْ مُخْتَبِئُونَ فِي هَذِهِ البِنَايَة الْهَشَّة الآيِلَةِ

إِلَى السُّقُوط، فَأسْرَعْنَا إِلَى مُحَاصَرَتِهَا.

عَادَ يَسْأَلُ:

مَنْ هَؤلاَءِ الأَرْبَعَة؟

- حَسْبَ مَا لَدَيْنَا منْ مَعْلُومَات، أَحَدُهُمْ هُوَ الْمُجْرِمُ الْخَطِيرُ الَّذِي كَلَّفْتَنَا بِالْبَحْثِ عَنْهُ.

- تَقْصِدُ عَلِي عَمَّار، المَدْعُو (عَلي لاَبوانت).

- أَجَلْ، أَجَلْ.

- وَمَنْ مَعَهُ؟

- إِنَّهُ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ أَمْثَالِه.

- مَنْ هُمْ؟

- مَعَهُ حَسِيبَة بَنْ بُوعلي، مَحْمُودْ بُوحَمِيدِي، عُمَر الصَّغِير، وكُلُّهُمْ مِنَ الْعَنَاصِرِ

الْخَطِيرَة جِدًّا.

وَاصَلَ الاسْتِفْسَار:

وكَيْفَ تَصَرَّفْتُمْ مَعَهُم؟

- طَوَّقْنَا الْمَكَانَ منْ كُلِّ الْجهَات، ثُمَّ وَجَّهْنَا نداءَات مُتَكَرِّرَةً عَبْرَ مُكَبِّر الصَّوْت أنْ سَلِّمُوا أنْفُسَكُمْ فَلاَ مَلاَذَ لَكُمْ غَيْرُ التَّسْلِيم.

- وكَيْفَ كَانَ رَدُّهُمْ؟

- لَقَد كَانَ رَدّاً غَرِيبًا، عَجِيبًا، حَقّا.

- كَيْفَ؟

- كُلَّمَا طَلَبْنَا منْهُمْ تَسْلِيمَ أنْفُسهمْ أمْطَرُونَا بوَابِلٍ منَ الرَّصَاص، وكَأنَّهُمْ يُرِيدُونَ أنْ يَقُولُوا لَنَا "نُفَضِّلُ الْمَوْتَ عَلَى الاسْتِسْلاَم".

- مَاذَا فَعَلْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ؟

- لَمْ نَسْتَطِعِ اتِّخَاذَ أيِّ قَرَارٍ فِي هَذَا الشَّأنِ قَبْلَ أنْ نَتَلَقَّى الأوَامرَ منْكُمْ، فَالْقَضيَّةُ فِي غَايَة الصُّعُوبَة وَالتَّعْقيد، وَلاَ أحَدٌ مِنَّا بِإمْكَانِهِ الْفَصْلُ فِيهَا غَيْرُ حَضرَتِكُمْ.

- كَيْف؟

- لَو اقْتَحَمْنَا الْبِنَايَةَ، فَمَنْ أدْرَانَا أنْ تَكُونَ طَوَابِقُهَا مُلَغَّمَةً، فَنَخْسرَ بَعْضَ أفْرَاد قُوَّاتنَا، وَإنْ بَقِينَا نُطْلقُ الرَّصَاصَ فَقَدْ يَكُونُونَ فِي مَوْضعٍ آمنٍ قَدْ لاَ يَصلُهُ رَصَاصُنَا. ثُمَ إنَّنَا لاَ نُريدُ الْقَضَاءَ عَلَيْهِمْ، بَلْ نُريدُهُمْ أحْيَاءً؛ فَأوَامرُكُمُ الْمُوَجَّهَةُ إلَيْنَا تَقُولُ دَائمًا: فِي حَالَة وُجُود (فَلاَّق) خَطير مُحَاصَر حَاوَلُوا أنْ تُلْقُوا الْقَبْضَ عَلَيْه حَيّاً لاسْتنْطَاقه، إنَّنَا فِعْلاً فِي وَرْطَةٍ، أجَلْ فِي وَرْطَةٍ كَبِيرَة!

صَاحَ الضَّابِطُ غَاضِبًا:

جَيْشٌ عَرَمْرَمٌ، مُزَوَّدٌ بِأَحْدَث الأَسْلِحَة وَأَجْهِزَة الاسْتِكْشَاف وَالرَّصْد يَقِفُ حَائِراً أَمَامَ أَرْبَعَة مِنَ الفَلاَّقَة الْمُحَاصِرِين، شَبْهَ عُزَّل؟! يَا لَلْكَارِثَة! يَا لَلْعَار! هَيَّا لَغِّمُوا الْمَكَانَ حَالاً، حَالاً.

- الْمَكَانُ مُلَغَّمْ كُلُّهُ يَا حَضرَةَ الضَّابِط، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَهْدِمَ الْبِنَايَةَ بِرُمَّتِهَا لِتَهْوِيَ بِمَنْ فِيهَا فِي لَحَظَات. هَلْ نُنَفِّذ؟.

لَكِنَّ الضَّابِطَ بَقِيَ حَائِراً مُفَكِّراً.

هَذَا الشَّخْصُ خَزَّانٌ مَلِيء بِالأَسْرَار الْمُتَعَلِّقَة بِالثَّوْرَة. فَقَدْ كَانَ قَائِداً لِلْفِدَائِيِّينَ، وَهُوَ أَحَدُ أَبْطَال مَعْرَكَة الْجَزَائِر الَّتِي دَوَّخَتْ فَرَنْسَا. كَمَا أَنَّهُ عَمِلَ إِلَى جَانِب الْعَدِيد من مَسْؤُولِي التَمَرُّدِ، وَأَكِيدٌ أَنَّهُ يَعْرِفُ مَخَابِئَ

الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ. إِضَافَةً إِلَى كُلِّ هَذَا، فَلَدَيْهِ بَرَاعَةٌ خَارِقَةٌ فِي التَّخَفِّي وَالتَّخْطِيطِ، وَتَجْنِيدِ الشَّبَابِ، وَهِيَ مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي قَلَّمَا تَجْتَمِعُ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ. فَلَوْ أَمْسَكْنَا بِهِ حَيًّا سَيَكُونُ صَيْدًا ثَمِينًا، لَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ، كَيْفَ؟

وَنَبَّهَهُ الْمُشْرِفُ عَلَى الْعَمَلِيَّةِ مِنْ شُرُودِهِ وَهُوَ يَسْأَلُ:

الْوَقْتُ يَمُرُّ، وَهَذَا لَيْسَ فِي صَالِحِنَا، فَقَدْ يَعُمُّ الظَّلاَمُ وَنَحْنُ لَمْ نَتَّخِذْ قَرَاراً.

- مَعَكَ حَقٌّ، أَجَلْ فِعْلاً، يَبْدُو أَنَّهُ تَحَدَّانَا حَيًّا، وَسَيَتَحَدَّانَا مَيِّتًا، سَيَنَالُ النِّهَايَةَ الَّتِي كَانَ يَتَمَنَّاهَا. أَمَّا نَحْنُ فَسَنَعُودُ صِفْرَ الْيَدَيْنِ، لَكِنَّنَا مُرْغَمُونَ عَلَى ذَلِكَ، أَجَلْ نَحْنُ مُرْغَمُونَ.

هَيَّا فَجِّرِ الْبِنَايَةَ حَالاً!

وَمَا هِي إلاَّ لَحظَاتٌ، حَتَّى اهْتَزَّ الْمَكَانُ عَلَى صَوْتِ دَوِيٍّ مُرْعِب، فَهَوَتِ الْبِنَايَةُ وَتَحَوَّلَتْ إلَى رُكَام، مِمَّا أدَّى إلَى اسْتِشْهَادِ البَطَل عَلي لاَبْوَانْت وَمَنْ مَعَهُ. وكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ 08 أكْتُوبَر 1957.

وَانْطَلَقَتِ الزّغَارِيدُ مِنْ حَنَاجِرِ نِسَاءِ القَصَبَة، وَالدَّعَوَاتُ الْمُبَارِكَةُ لِهَؤلاَءِ الشُّهَدَاءِ حُسْنَ الخَاتِمَة. وَقَد اخْتَلَطَتْ هَذه الزَغَارِيدُ وَالدَّعَوَاتُ بِصَوْتِ الْمُؤَذِّنِ وَهُوَ يَدْعُو لِلْصَّلاَةِ قَائِلاً:

اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار